

المثل السائر

كنانته وعجمها عودا يريد أنه عرض رجاله واختبرهم واحدا واحدا جد اختباره فرآني أشدهم وأمضاهم وهذا من الاستعارة الحسنة الفائقة .

وقد جاءني من الاستعارة في رسائلني ما أذكر شيئا منه ولو مثالا واحدا وذلك أنه سألني بعض الأصدقاء أن أصف له غلامين تركيين كان يهواهما وكان أحدهما يلبس قباء أحمر والآخر قباء أسود فقلت إذا تشعبت أسباب الهوى كانت لسره أظهر وأضحت أمراضه خطرا كلها ولا يقال في أحدها هذا أخطر وقد هويت بدرين على غصنين ولا طاقة للقلب بهوى واحد فكيف إذا حمل هوى اثنين ومما شجاني أنهما يتلونان في أسباغ الثياب كما يتلونان في فنون التجرم والعتاب وقد استجدا الآن زيا لا مزيد على حسنهما في حسنه فهذا يخرج في ثوب من حمرة خده وهذا في ثوب من سواد جفنه وما أدري من دلهما على هذا العجيب غير أنه ليس على فتنة المحب أهدي من حبيب .

وهذا الفصل بجملته مما توأصفه الناس وأغروا بحفظه .

وأما ما ورد من ذلك شعرا فكقول مسكين الدارمي من شعراء الحماسة .

(لِحَدَّافِي لِحَدَّافُ الضَّيْفِ وَالْبَيْتُ بَيْتُهُ ... وَلَمْ يُلْهِني عَنهُ غَزَالٌ مُّقَدِّعٌ) .

(أُحَدِّثُهُ إِنَّ الْحَدِيثَ مِنَ الْقِرَى ... وَتَعَلَّمُ نَفْسِي أَرْسَهُ سَوْفَ يَهْجَعُ) .

فالغزال المقنع هذا استعارة للمرأة الحسنة .

وكذا ورد قول رجل من بني يسار في كتاب الحماسة أيضا